GHAYATH AL-MADHOUN



POEMS

غيّاث المدهون

لا أستطيع الحضور





غيّاث المدهون ▼ لا أستطيع الحضور

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

لا أستطيع الحضور

لا أستطيع الحضور / شعر عربيّ معاصر
غيّاث المدهون / مؤلّف من فلسطين
الطبعة الأولى، 2014



المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسيّ:
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم
ص. ب 5460-11 ، هاتفاكس 751438 1 961+ / 752308 1 961+
التوزيع في الأردنّ:
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب 9157 ، عمّان 11191 الاردنّ،
هاتف 5605431 6 962+ / 5605432 6 962+ هاتفاكس 5685501 6 962+
e-mail: info@airpbooks
موقع الدار الإلكترونيّ:
www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّيّ:
® عمّان، هاتف 95297109 7 962+
لوحة الغلاف: ريم يسّوف / سوريّة
الصفّ الضوئيّ: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر / بيروت، لبنان
التنفيذ الطباعي: ديمو برس / بيروت، لبنان

ISBN 978-614-419-441-6





غيّاث المدهون

لا أستطيع الحضور





إلى راسم المدهون . . .

أخي

ما قبل ١٨ آذار ٢٠١١

ليس للمحكومِ بالإعدامِ آمالٌ
ولكنْ رغمَ ذلكْ ،
ليسَ للجلادِ آمالٌ
كذلكْ .

قصائد الوقت

إلى ألبرت أينشتاين

جثةُ الوقتِ
بدأتْ بالتفسخِ
الطبيبُ الشرعيُّ ،
ولا أعرفُ من أعطاهُ الشرعيةَ ، يقولُ :
إنَّ الوفاةَ طبيعيةٌ
وإننا تأخرنا في دفنهِ كثيراً
لا وقتَ نُضيعهُ إذاً
يجبُ أنْ ندفنَ الوقتَ بأسرعِ وقتٍ ممكن .

الوقتُ كالسَّيفِ ،
لن تجدَهُ إلا في المتاحف . . .
منذ أنْ حلَّتْ مكانهُ البندقية .

حتى لو كان عُمْرُ الكون
اثني عشر مليار سنة
ورغم أنه لا يوجدُ زمنٌ
كما يقول أينشتاين
حتى لو كانتْ أوقاتُ فراغنا طويلة
وكانتْ حياتنا مليئةً بالتفاهاتِ والروتين
حتى مع ذلك كله
هذا لا يبرِّرُ لكِ
أنْ تتأخري عشرين دقيقة .

لا أريدُ مائة عام من العزلةِ

ولا «ثمانين حولاً لا أبا لك يسأمِ»

لا أحتاجُ سبع سنواتٍ في التيبت

ولا ﴿سِتَّة أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

جلُّ ما أريدُ

دقيقةً واحدةً من البثِّ الحيِّ والمباشر

دقيقةً واحدةً Live

بلا مونتاجٍ أو رقيب

أصرخُ فيها بحرية

دون أنْ يُقطعَ البث

أو تُقطعَ الكهرباء

أو يُقطع رأسي .

أنا لستُ بريئاً . . .

أنا بريءٌ منكم .

قصائد الحزن

الفرح في بلادي . . .
مصابٌ بالاكتئاب .

سآخذُ عينةً من بول الحزنِ
إلى جميع المخابرِ والأطباء
وسأُطالبُ فروع المخابراتِ
بإعطائي أدقَّ التفاصيلِ
من أضابيره الورقية
علّني أعرفُ
من الذي يتسلّلُ ليلاً
ويُذيبُ الحزن في خزاناتِ مياهنا .

لو كان الحزن امرأةً . . . .

لضاجعتها .

أيها العطاشى . . . .

أقتلوا أخاكم النميري .

قصائد الحب

عشرون ألف امرأةٍ
لم أحبْ ،
عشرون ألف امرأةٍ
لم أُجربْ ،
وأعتقدُ أنَّ امرأةً واحدةً
ستكون كافيةً لقتلي فرحاً .

لم أجد سبباً واحداً لأحبكِ
أحبكِ فقط
لأنني لم أجدْ سبباً واحداً
لكيلا أحبكِ .

كالمشردين

أعانقُ بابَ بيتكِ في الشتاء

كالسنونو

أعشِّشُ على حافةِ شرفتكِ

كالوقتِ أفوتُكِ

كالموتِ

أخافُ عليكِ .

قرَّروا أنْ يضربوني ضربةَ رجلٍ واحدٍ

لكي يضيعَ دمي بين القبائل

لم يعلموا

أنَّ كلَّ ما أحتاجُهُ

ضربةَ امرأةٍ واحدة

ليضيعَ دمي نهائياً .

يا لَكِ من امرأة
ويا لي من سريرٍ مهجور
تنامينَ على الأريكةِ
مثلَ شجرةِ برتقالٍ حُبلى
وأنا بكاملِ قوايَ الشعرية
مصابٌ بالزكام
وبنقصٍ حادٍ في فيتامين C

كم أشتهي أنْ أراكِ خِلسةً ، تلصُّصاً
وأنتِ تعدينَ الشَّاي
أو تمسحينَ المنزل
كم أشتهي أنْ أتجسَّسَ عليكِ حين تستحمين
ويتمّ القبضُ عليٍّ متلبساً بجريمتي
وأُحاكمُ بتهمةِ الخيانةِ العُظمى
والعملِ جاسوساً لصالحِ القصيدة .

أُحبُّ مسرحَ الهواة مُذْ قابلتُكِ في تلكَ المسرحية
أُحبُّ الضواحي البعيدة لأنَّكِ تسكنين إحداها
وأسترسِلُ في شمشمةِ تفاصيلكِ مثلَ كلبِ صيدٍ عجوز
أنا الذي يتمنى لكِ الموتَ سراً لكي يرتاح
والذي يقفزُ من فراشهِ كالممسوس كلما رنَّ الموبايل
رائحتكِ الملتصقةُ كعلقةٍ في قعرِ جمجمتي
تسبِّبُ لي حكةً في المخِّ
اطلعي من تلافيفِ دماغي
أيتها السنجابةُ التي حفرتْ جذعي
أيتها المرأةُ التي تتغلغلُ في الـ DNA
وتعيدُ تشكيلي
اخرجي من ملامحي قليلاً
كي لا أُشبهكِ .

هلاَّ تفضَّلتِ بقبولِ استقالتي
منكِ .

حتى المقابرُ، تموت .

ثلاثون عاماً

يا لَحياتي البائسة

أصبحَ عمري ثلاثين عاماً

وحتى هذه اللحظة

لم أركضْ في إسبانيا مع حشدٍ ضخمٍ من السكارى

والمجانين

هرباً من ثيرانٍ هائجةٍ

لم أضاجعْ امرأتين معاً

لم أشتركْ بأيةِ حربٍ

ولم أطلقْ رصاصةً

وليس في ذمتي أيُّ قتيلٍ

ثلاثين عاماً

ولم أسرقْ مصرفاً وأنا ألبسُ في رأسي جراباً نسائياً

ولم أقرأ الحرب والسلم لتولستوي
ولا أريدُ أنْ أقرأها
ثلاثين عاماً
ولم أربحْ جائزةَ اليانصيبِ الكُبرى
ولم أُمنحْ جائزةَ نوبل للآداب
ولم أضعْ ورقةَ انتخابٍ في صندوق
ويبدو أنَّني لنْ أضَعها
ثلاثين عاماً
ولم أُصبحْ مواطناً لأيٍّ دولةٍ في هذا العالمِ المعتوه
ثلاثين عاماً
وأنا أزدادُ لجوءاً
وفلسطين تُصبحُ أبعدَ في كلِّ يوم .

لستُ أبا موسى الأشعري

لأخونَ صاحبي

لستَ علياً

لتسامحني .

دمشق

لم أتوقعْ أبداً
أنْ يأتي ذلكَ اليومُ الذي أشتهي فيه تلوثاً بيئياً بكاملِ روعته
أنْ أفتقدَ أزمةَ المواصلات
ودخانَ السياراتِ وعواءَها المسعور
حرارةَ تموز القاتلةَ في شارعِ الثورة
شرطياً يرتشي علناً
قانونَ طوارئ
خوفاً
وقمعاً للحريات
لم أتوقعْ أبداً أنَّ كلَّ مُدنِ العالم
ونساء العالم
وحرياتِ العالم
لا تعوِّضُ عن سجنٍ في دمشق .

الكبائرُ . . .

سَلَّةٌ من الخطايا الصغيرة .

قبل أنْ تموتي

يا الله كمْ تُشبهين الموت
كلاكما يأتي بُغتةً
وكلاكما يُخلِّفُ حُزناً بعد رحيلهِ
أنتِ والموت ثلاثة أشخاص : أنتِ وموتكِ والموت .

صحيحٌ أنَّكِ متِّ ، ولكنَّ موتكِ لا يزالُ حيَّاً ويزورني كلَّ يومٍ .

هل تتــذكــرينَ حين كُنتِ تتنفــسينَ هواءً ملوثاً بدخــانِ السيـارات ، أقـصـدُ حينَ كُنتِ حـيَّةً كـهؤلاءِ المجانين الذين يعيشونَ حولكِ ويحيطونَ بكِ ، هل تتذكرينَ حينَ أخبرتكِ أنّني أُحبُّكِ ، حينها لـم أكنْ أُحبكِ كـثيراً ، ولكنني كنتُ أُحبُّ الله الذي خلقكِ ، والأرضَ التي تسـيـرين عليـهـا ، والهواءَ الذي تتنفسين ، وأساوركِ التي تضعينها في المطبخ ، وحذاءكِ الأحمر ، وخصركِ الذي يستطيعُ أنْ يُشعلَ حرباً بين قـبيلتين ، وكـميـةَ الملح التي تضعـينهـا على الطعام ، والشامةَ بين نهديكِ ، ونهديكِ ، وصوتكِ المبلَّلَ بالماء ، ورنَّةَ موبايلك ، ورائحتَكِ التي تُشبهُ الذكريات ، نعم ، لم أكنْ أُحبُّكِ كثيراً ، وإلا كيفَ تُفسرينَ رحيلي بهدوءِ الطغاةِ ، وبرودةِ أعصابِ مُجرمي الحرب .

قبل أنْ تموتي ، كنتِ تحاولين الحياة ، كانتْ لزجةً وصاخبةً ، ومليئةً بحبوبِ الدواءِ وأسِرَّةِ المشافي والشحوبِ ، وبعد أنْ ضاجَعَكِ ملك الموت ، أصبحَ كلُّ شيءٍ هادئاً .

أنتِ الآن لا شيء ، أقصدُ ستصبحينَ لاشيءَ بعدَ فترةٍ وجيزةٍ ، قدْ تطولُ أو تقصرُ حسبَ رطوبةِ القبرِ ونشاطِ البكتيريا والديدان .

بعد فترةٍ أطولَ نوعاً ما ، سيتناقصُ الذين يتذكرونكِ بالسوء ، وبعد سنواتٍ سيتناقصُ الذين يتذكرون حسناتكِ أيضاً .

في يومٍ من الأيام ، لا أظنُّهُ يطولُ كثيراً ، لنْ يتذكَّركِ أحد ،
فجميعهم سيكونون قد أصبحوا وجبةَ عشاءٍ مثلكِ .

قبل أنْ تموتي كُنَّا أنا والموت أصدقاء ، الآن ، وبعدَ أنْ سرقكِ
مني كأيٍّ لصٍ دنيء ، حذفتُهُ من قائمةِ أصدقائي على
الفيس بوك .

أيُّها الأنبياء ،

ارحموا عزيزَ قومٍ مَلْ .

٤٩٧٨ ليلة وليلة

إلى فرج بيرقدار الذي أنفقَ ١٤ عاماً في السجن .

٤٩٧٩

ليس رقماً لحسابٍ سريّ
ولا ناتجَ مُعادلةٍ من الدرجةِ الثالثة
أؤكِّدُ لكم أنَّه ليسَ رقماً اعتباطياً مُجرَّداً من الحكمةِ
أو نتيجةَ مُصادفةٍ صَنعتها دواليبُ اليانصيب
إنَّهُ رقمٌ لزج
لا يُشبهُ أرقامَ الموبايل أو لوحاتِ السيارات .

٤٩٧٩

يعني التكثيف المنظم للألم
خُلاصة الذئب .

يعني ١١٩ ألفاً و٤٩٦ ساعة
ويعني سبعة ملايين و١٦٩ ألفاً و٧٦٠ دقيقة
ويعني أيضاً ٤٣٠ مليوناً و١٨٥ ألفاً و٦٠٠ ثانية .

أنْ تكسبَ ٤٩٧٩ يوماً
يعني أنْ تخسرَ ثلاث عشرة امرأة غير مشروعةٍ
وسبعاً وثلاثين علاقةً عابرةً
وطفلين لم يولدا
أنْ تكسبَ هذه الـ ٤٩٧٩ يوماً
يعني أن تخسر ٤٦٥ ألفاً و٣٢٨ خطوةً في أزقةِ الشامِ القديمة
و١١٤ مجلس عزاءٍ تم بغيابكَ
و١٣ ألفاً و٧١٢ زجاجة بيرة
ثلاثٌ منها فاسدة .

يعني ألا يفوتكَ الباصُ ٢٧١ مرة
وألا تربحَ ثمنَ ورقةِ اليانصيبِ إحدى عشرة مرة .

٤٩٧٩
يعني أنْ يفوتكَ كأسُ العالمِ ثلاثَ مراتٍ ونصف
وليلةَ رأسِ السنةِ أربع عشرة مرةً
وانهيارَ الاتحادِ السوفيتي مرةً واحدة
تخيلْ
مرةً واحدةً فقط .

٤٩٧٩ يعني ٤٩٧٨ ليلةً وليلة
بلا شهرزاد
٤٩٧٨ ليلةَ وليلةَ مع شهريارَ فقط
شهريار الذي فاتَكَ أنْ تحضُرَ موتَهُ أيضاً .

أصابعُ فلسطين . . .

تشبهُ أصابعَ أمي .

لجوء

نحنُ الذين يَكرَهُنَا العبريون لأنَّنا السكانُ الأصليون، ويَكرَهُنَا الإسرائيليونَ لأنَّنا فلسطينيون، ويَكرَهُنَا العربُ لأنَّنا كنعانيون، ويَكرَهُنَا العالمُ لأنَّنا عرب.

نحنُ الذينَ يَكرَهُنَا اليهودُ والمسيحيونَ لأنَّنا مسلمون، ويَكرَهُنَا المسلمونَ الشيعةُ لأنَّنا مسلمونَ سُنَّة، ويَكرَهُنَا المسلمونَ السُنَّةُ لأنَّنا أبناءُ مخيمات، وتَكرَهُنَا المخيمات.

نحنُ الذينَ نُوْلَدُ لاجئين، ونعيشُ لاجئين، ونأكلُ مما يرزقنا كَرْتُ الإعاشة والأونروا، وندرسُ في مدارسِ وكالةِ غوثِ وتشغيلِ اللاجئين، نحنُ الذينَ نتزوجُ لاجئاتٍ مِثلَنَا لننجبَ لاجئين، ونحملُ هوياتٍ وجوازاتِ سفرٍ مؤقتةً للاجئين، نحنُ الذينَ نقضي عُمْرَنَا لاجئين، ونموتُ لاجئين، وحين نهربُ من واقعنا إلى أوروبا بحثاً عن الحرية، نطلبُ اللجوء.

نحنُ الذين تُداسُ رؤوسُنا في مكاتبِ التحقيقِ للحفاظِ على أهدافِ الثورة ، وتُنْتَزَعُ اعترافاتُنا تحتَ التعذيبِ على أشياءَ لم نسمعْ بها من قبل ، نحنُ الذين نَلْمَحُ من بين اللطماتِ المتلاحقةِ اللوحةَ التي تَرْفَعُ شعاراتِ الوحدةِ والتآزرِ العربيِّ فوق رأسِ المحقق .

نحنُ الذينَ لا نستطيعُ السفرَ إلا بموافقةٍ أمنيةٍ ، والزواجَ إلا بموافقةٍ أمنيةٍ ، والتكاثرَ إلا بموافقةٍ أمنية .

نحنُ الذينَ تُغْلِقُ مطاراتُ بلادنا أبوابَها في وجهنا للحفاظِ على حقٍّ العودةِ ، والذين تَفْتَحُ مطاراتُ بلادنا أبوابَها على اتساعها لنا ، ويستقبلنا موظفو أمنِها بالابتسام ، حين نعودُ إليها بأسمائنا نفسها ، ورؤوسنا نفسها ، وملامحنا نفسها ، وأصابعنا نفسها ، وحقائبنا نفسها ، وملابسنا الداخليةِ نفسها ، ولكنْ بجنسياتٍ أُخرى .

أبي
يريدُ أنْ أُصبحَ
أبي .

ستوكهولم

حزينٌ جداً
إنَّ هذهِ المدينةَ التي أسكنُها
لا تشبهُ المدينةَ التي تسكُنُني .

صدقوني
تستطيعونَ إدراكَ حزني بلا مترجم
فهو حزنٌ كرنفالي .

في شهرِ تموزَ الماضي أصبحَ عُمْرُ حزني ثلاثين عاماً
يا للمصادفة
أنا وحزني في العمرِ نفسه .

سأخبركم كيفَ أصبحتُ حزيناً
حينَ كنتُ طفلاً
كنتُ أظنُّ أنَّ القبورَ حيواناتٌ لاحمة
الآن
بِتُّ متأكداً من ذلك .

لو أنَّ حمورابي لم يَضَعِ التشريع
لو أنَّ الأنبياءَ لم يكذبوا علينا
لو أنَّ الله لم يعطِ بلدي الصغيرَ للآخرين
لكنتُ أقسمتُ لكم بهِ
ولكنْ بما أنَّ كلَّ ذلك قد حصل
فإنني أُقسمُ بنهديْ حبيبتي
وأصابِعها التي تُشبهُ الموسيقى
بأنَّ هذا العالمَ الأجربَ
مثقوبٌ من أسفله .

آلاف الأشياء
أستطيعُ أنْ أقومَ بها
أستطيعُ أنْ أُقَبِّلَ امرأةً مجاناً
وأنْ أضمَّها مقابلَ حساءٍ ساخن
وأنْ أبكي في حُضنها كحصانٍ عجوز .

ألا يُمكنُ أنْ يتبرَّعَ الإنسانُ بقلبهِ إلا بعدَ الموت
صدِّقوني
أنا حزينٌ جداً
وأريدُ أنْ أتبرَّعَ بهذا القلبِ المسكين الآن .

عليكم أنْ تصدقوني
فأنا قادمٌ من بلادِ الأنبياء
وإنْ لم تفعلوا
فإنني سأصبحُ كحولياً
وعندها سأبصقُ عليكم في الشارع
سيتمتمُ بعضكم بصوتٍ خافتٍ
أعرفُهُ
يا للخسارة
لقد كان شاعراً جيداً .

أيها المساكين
ليس هنالكَ شاعرٌ جيدٌ
هنالك شاعرٌ فقط .

لو أنّني أملكُ في هذه اللحظةِ بندقيةً بدلاً من
هذه القصيدة
لكنتُ علمتُكُم درساً في الوسواسِ القهريِّ
وارتكبتُ فيكم مجزرةً شعرية .

تذكرتُ
سأخبركمْ شيئاً عن المدينةِ التي أسكُنُها
ستوكهولم
أحياناً تشبهُ الهواتفَ العمومية
وأحياناً تشبهُ العاهرات
المهمُّ أنَّها في الحالتين
لا تتكلمُ
ولا ترفعُ ساقَيها بدون نقود .

سأخبركم شيئاً عن المدينةِ التي تسكنني
دمشقُ تشبهُ الحرية .

لو

ما أجملَ الحياة
لو كانَ المخيمُ في بابِ توما
وكانتِ الثورةُ بلا آباء
لو كنتُ أستطيعُ أنْ أُطيلَ شعري
ببساطةٍ
كما يفعلُ السوريون .

ما أجملَ الحياة
لو أنّني كأصدقائي الأكراد
أستطيعُ أنْ أشتمَ الكبيرَ والصغير
من دون أنْ يفهَمَني المخبرون .

ما أجملَ الحياة
لو أنَّ في جيبي هويةً شخصية
أسافرُ بها إلى أمي في درعا
دون أنْ أَشْرَحَ للشرطيِّ القادمِ من إدلب
الفرقَ بين فلسطينيي الـ ٤٨ وفلسطينيي الـ ٦٧
أو لكي أُضيعها كما يفعلُ أصدقائي .

ما أجملَ الحياة
لو أنني أُمزِّقُ الأوراقَ جميعها
وأكسرُ الأقلامَ جميعها
لو أصحو من النوم
فأجد نفسي بدوياً في صحراء ما
مع قليلٍ من التنباك
وكثيرٍ من الحرية .

ما أصغرَ الأمنيات
ما أكبرَ الحقيقة .

أمنيـة

لا أريدُ لفلسطينَ أنْ تتحرَّرَ حالياً
أو في المدى القريبِ على الأقل
وإلا
ماذا سأُورثُ أبنائي
من تركةِ جَدِّهم .

طفولة

كم هو رائعٌ
هذا الولدُ الذي يسرقُ البيض
غير عابئٍ بصياحِ الدجاجاتِ الحزين
الذي يَلْحَقُ المدخنين
حارةً حارة
لينتشي بأعقابِ سجائرهم
والذي يكسِرُ شُبَّاكَ الدنيا
في كلِّ مباراةٍ
بالرَّكلةِ الملتفَّةِ الدوَّارة
والذي لا يزالُ مقتنعاً
أنْ هنالكَ ركلةً ملتَّفةً دوَّارة
كم هو رائعٌ

هذا الذي صدَّقَ في طفولته
أنَّ الفلّاحَ نشيطٌ
وأنَّ الشُرطةَ في خدمةِ الشعبِ
وأنَّ فلسطينَ
ستعود
كم هو رائعٌ
هذا الولد الذي
عِشْتُهُ .

يعني

إلى حنه آرنت

يعني أنْ تكونَ الجانبَ الآخرَ للقمر ، مُظلماً ومُهمشاً ومنسياً ، مطمورةَ النقودِ المكسورة ، زجاجةَ النبيذِ التي تسربَ إليها الهواء ، صُكوكَ الغُفرانِ بعد قدومِ مارتن لوثر ، الحصانَ العجوز ، والقدمَ المصابةَ بالغرغرينا .

يعني أنْ تكونَ زجاجَ النافذةِ المكسورَ شتاءً ، ومطرةَ الماءِ الفارغةَ في الصحراءِ الكُبرى ، والجدَّ المصابَ بالزهايمر ، الجيبَ المثقوب ، والرصاصةَ الطائشة ، والضحيةَ المنسيةَ للضحايا المشهورين .

يعني أنْ تكونَ هندياً أحمرَ عند اكتشافِ أمريكا ، أفريقياً قبل مائتي عامٍ ، يهودياً عام ١٩٤٢ ، فلسطينياً الآن .

إسرائيل

لولا إسرائيل لما طُرِدَ أبي من فلسطين
لما نزحَ إلى سوريا
لما التقى أمي
لما كنتُ أنا الآن موجوداً
لما كنتِ أنتِ الآن حبيبتي .

غريبةٌ كلماتي

نسيانٌ خفيفٌ
هو كلُّ ما أحتاجُه لكي أتذكَّرَ أنَّني نسيت
ولكي أنسى أنَّني تذكَّرت
لن أُغلقَ النوافذَ إنْ هبَّتِ الريح
لن أدقَّ مساميرَ في قفصها الصدريِّ
لن أُغطِّيها بخزانةٍ أو لوحة
على العكسِ تماماً
سأواصلُ التحديقَ بالذكريات
نسيانٌ خفيفٌ
سيمرِّنُ قلبي على التركيز
بأنَّكِ لا تُشبهين الماء
لكنَّكِ ضروريةٌ حتماً لهذا الجسدِ العطشان .

أيُّها العالمُ

ليس في حقيبةِ ذكرياتي أيَّةُ محرقةٍ كي أُثيرَ استعطافكم

لكنَّ لي عشرة أصابع كالآخرين

وأشعُرُ بالبردِ شتاءً

وآكلُ حين أجوعُ

أحبُّ كرةَ القدمِ والنساءَ والبيرةَ الباردةَ صيفاً

فهل هذا يكفي لأنتمي إليكم

نعم

لا أملكُ محرقةً

ولكنَّني متعبٌ

متعبٌ

وهذا العالمُ أضيقُ من أنْ يتَّسعَ لملفِ لجوئي .

كيفَ سأشرَحُ لكم قصيدتي
وحصاني العربيُّ لا يتحدثُ الإنجليزية
وأنا مكبَّلٌ بالتاريخِ والأنبياء
كيفَ أفسِّرُ لكم دَمِي الذي يقطُرُ من خناجركم يا أصدقائي
ولستم تملكونَ قاموساً بلغةِ الهنودِ الحُمْر
كيف أصافحكم
دون أنْ أخدشَ بأظافرِ شِعري جلدكم الأبيض .

وتسألني الفتاةُ التي أحبتني بصدقٍ لليلةٍ
واحدةٍ فقط
ماذا يفعلُ جملٌ عربيٌ في الشمال؟
ما الذي يجعلُ نخلةً تُصادقُ الصقيع؟
فأجيبها أن الشعراءَ مثل القصائدِ
يحتملون التأويل .

- لماذا تخشى الشتاء؟
- لأنَّ قلبي يهاجرُ مع الطيور إلى الجنوب .

- أتصدقين ، حينَ وصلتْ حقيبتي إلى جهازِ
التفتيشِ في مطار ستوكهولم
بدأ جهازُ الإنذارِ بالصراخ ، قامَ رجالُ الأمن
بإيقافي فوراً ، حين فتشوا حقيبتي
عثروا على دمشقَ نائمةً فيها .

٣١٦٨ كم و٣١٠ أمتار حسب مقياس جوجل إيرث
هي المسافةُ التي تفصلُ بين نافذةِ غرفتي في ستوكهولم
ونافذةِ غرفتي في دمشق
هي المسافة التي تفصلُ بيني وبيني .

مترو

داخلَ هذه الدودةِ الحديديةِ أتكوَّرُ على نفسي
بعد محطتين
يرمي أحدهم نفسَهُ تحت عجلاتِ القطار
ويتحرَّرُ من الوقت .

الزمن في ستوكهولم يُشبهُ الهُلام
لكنَّه أكثر قسوةً
هنا لا وقتَ للأصدقاء
لكنَّ الجميعَ أصدقاءٌ للوقتِ
هنا كلُّ شيءٍ ينتمي للبردِ
إلا الحزنُ
فهو سليلُ العَتْمِ .

وأسألُ أفريقياً يجلسُ قبالتي عن الوقت
فيرمقني باستغراب ٍ ويتمتم :
أتقصدُ الزمن؟
أجيبهُ :
أقصدُ التاريخ .

الفتى الذي تحرَّرَ من الوقتِ في بدايةِ القصيدة
نعم ، ذلك الذي رمى نفسَهُ تحتَ عجلاتِ القطار
لقد تسبَّبَ بأزمةِ وقتٍ كبيرةٍ في ستوكهولم .

ربما نتأخرُ عن مواعيدنا ، ساعةً ، ساعتين
ربما نلعَنُ حظَّنا محبوسين داخل هذا النفق
ربما يقولُ أحدُنا
ألم يجدْ إلا هذهِ العربة ليرمي نفسَهُ تحتَها
لكنَّ سؤالاً واحداً ظلَّ يطنُّ مثل ذبابةٍ داخل القطار :
كم سيتأخرُ هذا الفتى عن أصدقائهِ
كم سيتأخرُ عن أمِّهِ
التي تنتظر .

نحن

مقاطع كتبت لفيلم شعري عن غزة هو أحد أربعة أفلام شعرية ضمن أنطولوجيا شعرية عن التدمير تشمل: هيروشيما، هانوي، معتقل أوشوفتز وقطاع غزة، والأفلام الأربعة من إخراج الشاعرة والكاتبة السويدية «ماري سيلكبيري»

نحن المتناثرين شظايا، المطرين لحماً، نتقدَّمُ بالاعتذارِ الشديدِ من هذا العالمِ المتحضرِ فرداً فرداً، رجالاً ونساءً وأطفالاً، لأنَّنا وبدونِ قصدٍ منَّا ظهرنا في منازلهم الآمنةِ بلا استئذان، نعتذرُ لانطباعِ أشلائنا في ذاكرتهم البيضاء كالثلج، ولأننا خدشنا صورةَ الإنسانِ الطبيعيِّ الكاملِ في أعينهم، لأنَّنا وبكلِ وقاحة، قفزنا فجأةً على نشراتِ الأخبارِ وصفحاتِ الإنترنتِ والجرائد، عارين إلا من دمائنا وبقايا أجسادنا المتفحمة، نعتذرُ من كل العيون التي لم تجرؤ أنْ تنظر في جراحنا مباشرةً لكي لا تُصاب بالقشعريرة، ونعتذرُ من كلٍّ من لم يستطعْ إكمالَ وجبةِ العشاءِ بعد أنْ

فاجأته صورنا طازجةً على التلفزيون ، نعتذرُ عن الآلام التي سبَّبناها لكلٍّ من رآنا هكذا بلا تجميلٍ أو تقطيبٍ أو إعادةِ جمع لبقايانا وقطعنا قبل أنْ نظهرَ في الشاشات ، ونعتذرُ أيضاً من الجنود الإسرائيليين الذين تكلفوا عناءَ الضغط على الأزرارِ في طائراتهم ودباباتهم لتحويلنا إلى قطع ، نعتذر منهم عن الصور البشعة التي تحولنا إليها بعد أن صوبوا قنابلهم مباشرةً إلى رؤوسنا الطرية ، وعلى الساعات التي سيقضونها الآن في عيادات الأطباء النفسيين ليعودوا بشراً كما كانوا قبل تحويلنا إلى أشلاءَ مقززةٍ تلاحقهم كلما حاولوا النوم ، نحن الأشياءُ التي رأيتموها على الشاشاتِ والصحف ، والتي إنْ اجتهدتم في جمعِ بقاياها كلعبةِ البازل ، فإنكم ستفوزون بصورة واضحةٍ لنا ، واضحةٍ لدرجةِ أنَّكم لنْ تستطيعوا أنْ تفعلوا شيئاً .

- ماما ، لماذا تستعملُ صفاراتُ الإنذار؟

- لكي يهربَ الناس إلى الملاجئ

- ولماذا لا يوجد في غزة صفارات إنذار؟

- لأنه لا توجدُ ملاجئ .

هناك شيئان يتوسعان على حساب البيئة المجاورة

ثقبُ الأوزون ، وإسرائيل .

القنبلة الذرية الأولى التي أُلقيتْ على هيروشيما كانت

لإجبار اليابان على الاستسلام

الثانية التي ألقيتْ على ناغازاكي كانتْ لإجبار الاستسلام

على الاستسلام .

جورج بوش الأب ، جورج بوش الابن
ما أتعسَ المستقبل لو كان هناك جورج بوش الحفيد .

- من ماري أنطوانيت ، إلى الشعب الفلسطيني المحاصر في غزة :
إن لم تجدوا الخبز كُلوا البسكويت
- من الشعب الفلسطيني المحاصر في غزة إلى ماري أنطوانيت :
كُلي خرى .

ما بعد ١٨ آذار ٢٠١١

[illegible]

المدينة

إذا كان الطريقُ إلى إيثاكا أجمل من إيثاكا ، فإنَّ الطريقَ إلى دمشقَ ليس أجمل من دمشق .

المدينةُ تشبهُ التجاعيدَ ، ملتفةٌ على بعضِها البعض كأجسادِ المنسيينَ في زنازين العالمِ الثالثِ ، نافرةٌ كذاكرةٍ مثقوبةٍ ، واضحةٌ كملابسِ العيد ، فضائحيةٌ كخيوطِ سجّادةٍ فارسيةٍ ، طالما سحرتني هذه المدينةُ بالتراكمِ ، طبقةٌ تضاجعُ طبقةً تضاجعها أُخرى ، تتوالدُ بلا حَبَلٍ ، مدينةٌ تُسدل البرقعَ على وجهها وتكشفُ عن ساقيها السمراوين ، المدينةُ تقطعني حين أراودها عن نفسي جيئةً وذهاباً كل يومٍ ، أقطعُها كما يقطعُ عرابو ثورةِ البروليتاريا رؤوسَ الطبقاتِ المخمليةِ بدايةً ، ثم رؤوسَ الأصدقاءِ لاحقاً ، أقطعُها بصبرِ

جملٍ، بهمةِ كلاشنكوف، وشهوةِ جرادةٍ أمام حقلٍ في الصباحِ.

المدينةُ تشبهُ الذكرياتِ، مبهمةٌ، ولكنها تدغدغُ الحقيقةَ بحياءٍ، تُثْقِلُ نومنا بمزيدٍ من الشهوةِ، وصحونا بمزيدٍ من الأسئلةِ، ومثل جنازةِ الغرباءِ في المدنِ الغريبةِ، تثيرُ الشفقةَ بدون أنْ تصافحَ يدَ الحزنِ، تئنُّ في الليلِ كأنها مصابةٌ بالترحالِ وتخدشُ جلدَ أحاديثنا بأظافرَ من حنينٍ مبهمٍ، ثم تندسُ إلى جانبنا في الفراشِ، كنَّا حين نصحو في منتصفِ الموتِ على صوتِ نشيجها، تغطي رأسَها بالوسادةِ، فتنكسرُ الأحلامُ.

المدينةُ تشبهُ السياحَ، بنزقهم، بكاميراتهم الديجتال وصنادلهم التي لا تعرفُ لُغةَ الأرصفةِ في شمالهم الباردِ، بمرحهم المجمركِ ولفافاتِ حشيشهم التي ينكرونها وتنكرهم حين يعودون إلى بلادِ الثلجِ، تشبههم بلونهم البرونزي المزيفِ وقد شربتْ عظامهم الشمسَ وفيتامين «D» وكاميراتهم المدينة.

المدينةُ تشبه بائعي اليانصيب بوجوههم الميتة، وتقاريرهم

لفـروع المخـابراتِ بعـد غـلاءِ الخـبـزِ ، تشـبـهـهـم وهم يزرعـونَ
الأحـلامَ على الطرقـاتِ ، مـتـوعـدين العـابرين بالملايين
وأطفالهم يرضعون الماءَ ويربحون الجوع .
المدينةُ تشـبهُ أبوابَها السـبعـةَ ، مشـرعةٌ بلا رقـيبٍ كأسـرَّةِ
العاهراتِ ، مغلقةٌ بلا بصيصٍ كقبورِ الموتى .
المدينةُ تشبهُ دمشق .

هنا تستلقي المدينةُ على ظهرها ، الشمسُ تلدغُ جلدَها فتزدادُ شحوباً ، والضجةُ تذهبُ إلى نهاياتها ، من أولِ النهرِ إلى منتصفِ الروحِ ، تشدُّ حبلَ مشيمتها الذي لم ينقطعْ ، وترمي فقراءَها إلى الأطرافِ ، فقراءَها الذين كلما حاولوا أنْ يتسلقوا جسدها سقطوا تحت عجلاتِ اتساعها ، هذه الخدوشُ التي تسكنُ جلدها هي طرقاتُها المتشابكةُ بعنايةٍ لا إلهيةٍ ، وتلكَ الغيمةُ السوداءُ التي تلفُّ جيدها إنَّما هي نتيجةُ تردُّدِها المزمنِ أمامَ التوقفِ عن التدخينِ ، يا إلهي ، كيف لي أنْ أتسلقَ نهدَها المطلَّ على تجاعيدها ، تستلقي عليه البيوتُ الرماديةُ من سفحهِ إلى الحلمةِ بهندسةِ التراكمِ منذ اكتشافِ اللذةِ مصادفةً بين رجلٍ وامرأةٍ وحتى الحضارة ، لا أصدقُ كيف يمكن لنهدٍ أن يُسمى جبلاً دون

مجازٍ ، ودربٌ شقَّها الذين مروا دون أن يُحبوا أعداءَهم ، لا تزالُ كشاهدةِ القبرِ تبثُ التاريخَ ، هنا تستلقي المدينةُ طازجةً وكأنها لم تسبقِ الأبجديةَ بعدةِ كوارثَ ، تحيطها أسوارٌ لا تشبهُ الحصارَ ، وتكادُ إنْ أنصتَّ قليلاً تسمعُ رجعَ صدىً خافتٍ لمنتصبي القامةِ الذين شربوا ماءَها وبعضهم تسللَ بحكمِ الوراثةِ إلى دمكَ المصابِ بالأغاني ، إنها المقبرةُ الأولى التي احتفل الناسُ بها كدليلٍ على الذكرياتِ ، أمرُّ بها غريباً عني فتمرُّ بي غريبةً عن ملامحي ، أُبصرها في وجوهِ غرباءَ انتموا إليها فنتماهى في حضرةِ التوهمِ ، هي القديمةُ مثل مستحاثةٍ وأنا الجديدُ مثل نهايةِ التاريخِ ، أمسكُ ثوبها كطفلٍ وتمسكُ قلبي كامرأةٍ فنرتكبُ القصيدةَ ، أنا الحالمُ يصطادُ الشعرَ وهي الواقعيةُ تنجبُ الأطفالَ ولا تربيهم ، أنا الفاني وهي الأزليةُ الباقيةُ ، أنا القدريُّ المشبعُ بالغيبياتِ وهي الواقعيةُ الملحدةُ ، لا عزاءَ لي ولا ضيرَ عليها سوى أننا صُدفةً عاشقان .

نازلاً في الطريقِ إلى خصرها ، أتقاطعُ مع الشكِّ ، هو سائرٌ نحو كمالِ اليقينِ وأنا أكادُ ألامس الظنَّ من حافتهِ الملساء ، أكسرُ حصالةَ الوقتِ وأخرجُ منها ثلاثةَ أيامٍ وبضعَ ساعاتٍ هي لحظاتُ الفرحِ التي جمعتها خلالَ حياتي التي لا تزال على قيدِ الحياةِ ، ثقلُ بندقيةِ الكلاشنكوف التي أورثني إياها شيوعيٌ مرَ مصادفةً بجانبِ جرحي لا يزالُ يثقلُ كتفي اليمنى ، ولذا أصبحت كتفي اليسرى أعلى وأكثرَ شموخاً ، وازدادَ وَحْلُ أيامي رخاوةً وإيذاناً بالغوصِ البطيءِ ، أمَّا شجرةُ البرتقالِ التي يتكررُ ظهورُهَا في حلمي بطعمها الذي يشبهُ طعمَ غزةَ مع ميلانٍ خفيفٍ نحو حموضةٍ تشبهُ هواءَ دمشقَ ، فتفسيرها عصيٌ على الويكيبيديا ، وليس عصياً على ابن العربي ، في آخرِ الدربِ المفضي إلى «الزقاقِ

المستـقيمِ» أرافقُ حنانيـا إلى بيت يهوذا ، نتـمشى مبـهورين بالتفاصيلِ التي تتساقطُ من السماءِ بسبب أخطاءَ فنيةٍ في هندسةِ الربِّ ، نلتقي الشهداءَ الذين ينتظرونَ في الردهةِ من يجيبُهم عن أسئلتهم الوجودية عن معنى حشرهم وأعدائهم في قاعةٍ واحدةٍ تحت شعار كلنا شهداءُ ، هذه المدينةُ تأكلُ لحمَ أخيهـا وتتجشأُ ازدحاماً ، هذه المدينةُ مسورةٌ بالحكايا ودعاءِ المنكوبين بالورعِ ، هذه المدينةُ لم تقطعْ حبلَ مشيمةٍ يصلُها بالموتِ ، إنها تشحذُ سكينها كلَّ ليلةٍ على أملِ المجزرةِ القادمةِ ، ليت لي دفءَ محركِ سيارةٍ في شتائكِ الحزين أو برودةَ قبرٍ في صيفكِ المرِّ أيتها الصحراءُ الإسمنتيةُ ، أيتها المدينةُ التي تشربُ الشايَ على أنغامِ المعركةِ ، وترقصُ رقصةَ الهزيمةِ على جثثِ أبنائها الضالين ، آمين .

ليسَ في جعبتي متسعٌ من الضوءِ لأوزعَهُ على عميانِ «مترلينك» ، الأسوارُ تحيطُ المعنى داخلَ روحي كما تحيطُ المدينةُ ذكرياتي ، آه يا روحي المؤمنةُ ، آه يا جسدي الملحدُ ، سأعترفُ الآن بخطيئتي الأصليةِ ، إنَّ جميعَ قصائدي التي غرزتُها في لحمِ أيامكم كسكينٍ صدئةٍ ، ليست قصائدي ، لقد سرقتها من المنسيين وفاقدي الذاكرةِ ، وجمعتُها من أسرةِ المشافي البيضاءَ وأنين المعذبين ، إنها ذاكرةُ النساءِ المسفوكةُ أمام ذكورةِ الله ، غرغراتُ الذين ماتوا برداً في منتصفِ الأغنيةِ ، إنها الحلمُ حين يكونُ مجرداً من الحالمين ، نعم ، إنها ليست قصائدي ، إنها ذكرياتٌ متحجرةٌ لأُناسٍ عاشوا قبل زمنٍ سحيقٍ ، لا نعرفُ أسماءَهم ولكننا نحملهم في ملامحنا الباهتة ، أمنياتُ لم تتحققْ ، وضحكاتُ

مـسـتـعـملةٌ ، إنـها لـيـست قـصـائدي ، إنـهـا أنـفـاسُ الغـرقى والمشنوقين ، والأرواحُ التي سالتْ من ثقوبٍ صغيرةٍ أحدثتها البنادق

إنها ليست قصائدي .

لـ ـيـ ـسـ ـت قـ ـصـ ـا ئـ ـد ي .

لستُ أنا فقط ،
جميعنا غرباءُ ،
وإلا كيفَ تفسِّرون المدينة .

الشاعرُ الذي التقيتهُ ذاتَ خمارةٍ في دمشق ،
أكلهُ الذئب .

من أولِ الجسدِ إلى تخومِ الشهوةِ ، يسَّاقطُ الليلُ جرحاً جرحاً ، فأحتمي بالضوءِ ، النساءُ المتخفياتُ بجلابيبهنَّ يُذكرنني بذكورةِ العالمِ ، فأتعكزُ على أنوثةٍ كي أنجو ، والتعبُ الذي يسيلُ خلفَ المارةِ يشدُني إلى القاعِ ، هذه المدينةُ لا تشبهُ الفرحَ ، لكنَّ فيها غموضاً يصيبُنا بسعادةٍ عابرةٍ ، لا تشبهُ الموتَ لكنها محكومةٌ بالنهاياتِ ، هي الظلمُ الموزعُ بعدالةٍ فاضحةٍ ، حلمُ المرأةِ بالانعتاقِ ، تنهيدةُ الله ، ورأسُ يوحنا الذي يركضُ في ليالينا باكياً ، هي التحالفُ بين القصيدةِ والجلادِ ، بين رائحةِ الأسوارِ طازجةً ونكهةِ الأزقة التي تفضي إلى البدايةِ ، إنها الشامُ ، عرسُ الدمِ الذي لا ينتهي ، رقصةُ سالومي التي تمطرُ أياماً على أيامنا ، النهايةُ التي تبدأ الآن ، صلاةُ أمي المبللةُ بالأساطيرِ ، المآذنُ

التي تلامسُ أصابعَ الله ، لصوتها طعمٌ يشبهُ لون الشعرِ ، ولجسدها تضاريس الخطيئةِ ، إنها الشامُ التي أنجبتني وسقطتْ برصاصةِ قناصٍ ، فولدنا معاً ، أشدُّها نحوي فتنكسرُ الأغنيةُ ، تشدُّني نحوها فتؤلمني القصيدةُ ، يا أيها الذين أحبوا لا تقربوا الشامَ إلا وأنتم سُكارى فإنها مجبولةٌ بالنعاس ، لها الأغاني المقتولةُ وتفاصيلُ النبوةِ ورائحةُ الوحيِ ، ولنا التصوفُ تحت سُرَتها عراةً ، نحن أبناؤها العاقون الذين ضاعوا في الشمال ، وهي أمُّنا التي لم ترضعْنا سوى الخوف ، فورثنا سورةَ الشعراء ، إنها الشامُ ، تفاحةُ الضوءِ وسِفرُ الحزنِ ورسائلُ ابن العربي التي لم تصلْ بعد .

التفاصيل

أتعرفُ لِمَ يموتُ الناسُ حين تثقبهم رصاصة؟
لأن ٧٠٪ من جسمِ الإنسانِ يتكوَّنُ من الماء
تماماً كما لو أنَّكَ تُحدثُ ثقباً في خزان ماء .

أكانَ اشتباكاً اعتباطياً يرقصُ في رأسِ
الحارةِ حين مَرَرْتُ؟
أم أنَّ قناصاً كان يترصَّدُني ويعدُّ
خطواتي الأخيرة؟

هل كانتْ رصاصةً طائشةً؟
أم أنَّني الذي كنتُ طائشاً بالرغمِ من بلوغهِ ثلثَ قرنٍ من
العمرِ؟

أهي نيرانٌ صديقةٌ؟
كيف؟
وأنا لم أصادقْ نيراناً من قبل .

أترى أنا من مرَّ في طريقِ الرصاصةِ فأصابَها؟
أم مرتْ هي في طريقي فأصابتني؟
ثم كيف لي أنْ أعرفَ مواعيدَ مرورها وأية طريقٍ ستجتاز؟

هل التقاطعُ مع رصاصةٍ يعتبرُ حادثَ اصطدامٍ بالمعنى التقليدي؟
كالذي يحدثُ بين سيارتين؟
وهل جسدي وعظامي الصلبةُ ستحطمُ ضلوعها أيضاً؟
وتتسببُ في وفاتها؟
أم أنها ستنجو؟

هل حاولتْ أن تتفاداني؟
هل كان جسدي طرياً؟
وهل شعرتْ تلكَ الصغيرةُ مثل حبةِ
توتٍ بأنوثتها في ذكورتي؟

القناصُ صوَّبَ نحوي بدون أنْ يكلِّفَ نفسه عناءَ معرفةِ أنَّ لديَّ حساسيَّةً من رصاصِ القناصةِ ، وهي حساسيةُ من الدرجةِ الأولى ، وقد تؤدِّي للوفاة .

القناصُ لم يستأذنِّي قبلَ أنْ يُطلق ،
وفي هذا قلةُ أدبٍ واضحةُ أصبحتْ
خطأً شائعاً في هذه الأيام .

كنتُ أبحثُ عن الفـرقِ بين الثـورةِ والحـربِ عندمـا عـبـرتْ رصاصةٌ جسدي ، فانطفأتْ شُعلةٌ أوقدتها معلمةُ مدرسةٍ ابتدائيةٍ من سوريا بالاشتراكِ مع لاجئٍ فلسطيني دَفَعَ أرضَهُ حلاً لمعاداةِ السَّامية في أوروبا وهُجِّرَ إلى حيثُ التقى امرأةً تشبهُ الذكريات .

لقد كان شعوراً رائعاً ، يشبهُ أكلَ قطعةِ مثلجاتٍ في الشتاء ، أو ممارسةَ الجنسِ دون واقٍ مع امرأةٍ غريبةٍ في مدينةٍ غريبةٍ تحتَ تأثيرِ الكوكايين ، أو . . .

يقولُ لي عابرٌ نصفَ ما يرغبُ في قولهِ فأصدِّقهُ ثم نطعنُ بعضنا كعاشقين ، تومئُ لي سيدةٌ أنْ أتبَعَهَا فأفعلُ وننجبُ طفلاً يشبهُ الخيانةَ ، يقتلني قناصٌ فأموتُ ، السماءُ تسقطُ على المارةِ فيهربُ السياحُ ، السماءُ تسقطُ على المارةِ ولا يهربُ قلبي ، السماءُ تسقطُ إلى الأعلى فينتحرُ شاعرٌ في غرفته انتحاراً جماعياً رغم أنَّهُ كان وحيداً ذلك المساء .

في ذلك المساء ، داهمني النسيانُ على غفلةٍ فاشتريتُ ذاكرةَ جنديٍ لم يعدْ من الحربِ ، وحين انتبهتُ إلى خللِ الوقتِ لم أستطعْ أنْ أجدَ منفىً يليقُ بجرحي لذلك قررتُ ألاَّ أموتَ ثانيةً .

المدينةُ أقدمُ من الذكرياتِ ، اللعنةُ مسورةٌ بالاكتئابِ ، الوقتُ متأخرٌ عن مواعيدهِ ، الأسوارُ تحيطُ الزمنَ بالرتابةِ ، الموتُ يشبهُ وجهي ، الشاعرُ يتكئُ على امرأةٍ في قصيدتهِ ، الجنرالُ يتزوجُ زوجتي ، المدينةُ تتقيأُ تاريخها وأنا أبتلعُ الشوارعَ ويبتلعُني الزحام ، أنا الذي أوزعُ دَمِي على الغرباء ، وأتقاسمُ زجاجة النبيذِ مع وحدتي ، أرجوكم ، أرسلوا جثتي بالبريد السريع ، وزعوا أصابعي بالتساوي على أصدقائي .

هذه المدينةُ أكبرُ من قلبِ شاعرٍ وأصغرُ من قصيدته ، لكنَّها كافيةٌ لينتحرَ الموتى دون أنْ يزعجوا أحداً ، ولتزهرَ إشاراتُ المرورِ في الضواحي ، ليصبحَ الشرطيُّ جزءاً من الحلِّ والشوارعُ مجرَّدَ خلفيةٍ للحقيقة .

في ذلك المساء ، حين تعثَّرَ قلبي ، أمسكتني دمشقيةٌ وعلَّمتني أبجديةَ شهوتها ، كنتُ ضائعاً بين الله الذي زرعَهُ الشيخُ في قلبي وبين الله الذي لمستهُ في فِراشها ، ذلك المساء ،

أمي وحدَها من عرفتْ أنَّني لن أعود ،

أمي وحدها من عرفتْ ،

أمي وحدها ،

أمي .

لقد بعتُ أيامي البيضاءَ في السوقِ السوداءَ ، واشتريتُ منزلاً يطلُّ على الحرب ، لقد كانتِ الإطلالةُ رائعةً لدرجةِ أنَّني لم أقاومْ إغراءَها ، فانحرفتْ قصيدتي عن تعاليمِ الشيخ ، واتَّهمني أصدقائي بالعُزلة ، وضعتُ كُحلاً على عيني فازدادتْ عروبتي ، وشربتُ حليبَ الناقةِ في الحُلمِ فصحوتُ شاعراً ، كنتُ أراقبُ الحربَ كما يراقبُ المصابون بالجُذامِ عيونَ الناس ، ولقد توصَّلتُ إلى حقائقَ مرعبةٍ عن الشِّعرِ والرجلِ الأبيض ، عن موسمِ الهجرة إلى أوروبا ، وعن المدنِ التي تستقبلُ السيَّاحَ في أيَّامِ السِلْم والمجاهدين في أيَّامِ الحرب ، عن النساء اللواتي يُعَانين الأمرَّين في أيَّامِ السِلْم ويُصبحن وقوداً للحربِ في أيَّامِ الحرب .

في مدينةٍ أُعيدَ إعمارها مثل برلين ، يكمنُ السِّرُّ الذي يعرفهُ الجميع ، وهو أنَّ الـ . . .

لا ، لنْ أكرِّرَ ما هو معروفٌ ، لكنَّني سأُخبركم بما لا تعرفون : ليستْ مشكلةُ الحربِ في من يموتون ، مشكلتها في من يبقونَ أحياءَ بعدها .

لقد كانتْ أجملَ حربٍ خُضتها في حياتي ، مليئةً بالمجازاتِ والصورِ الشعرية ، أتذكَّرُ كيف أنَّني كنتُ أتعرَّقُ أدريناليناً ، وأبولُ دخاناً أسودَ ، كيفَ كُنتُ آكلُ لحمي وأشربُ صراخاً ، كان الموتُ بجسدهِ الهزيلِ يتكئُ على ما اقترفتْ قصيدتهُ من خرابٍ ، ويمسحُ سِكِّينهُ من مِلْحي ، وكانتِ المدينةُ تفرُكُ حذائي بمسائِها فيبتسمُ الطريقُ ، وتعدُّ أصابعَ حزني وتُسقطُها في الطريق إليها ، الموتُ يبكي والمدينةُ تتذكَّرُ ملامحَ قاتِلها وتُرسلُ لي طعنةً عن طريق البريدِ ، تهدِّدُني بالفرحِ ، وتنشرُ قلبي على حبلِ غسيلها الممدودِ بين ذاكرتين ، وأنا يشدُّني النسيانُ إليَّ ، عميقاً إليَّ ، عميقاً ، فتسقطُ لُغتي على الصباحِ ، تسقطُ الشرفاتُ على الأغاني ، المناديلُ على القُبُلاتِ ، الشوارعُ الخلفيةُ على أجسادِ النساءِ ، تفاصيلُ الأزقةِ على التاريخِ ، تسقطُ المدينةُ على المقابرِ ، الأحلامُ على السجونِ ، الفقراءُ على الفرح ، وأنا أسقطُ على الذكرى .

حين أصبحتُ عضواً في اتحادِ القتلى ، تحسَّنتْ أحلامي ، وأصبحتُ أمارسُ التثاؤبَ بحرية ، ورغمَ طبولِ الحربِ التي تُغنِّي قُربَ جسدي المنتفخ ، إلا أنَّني وجدتُ متَّسعاً من الوقتِ كي أصادقَ كلباً مشرداً ، اختارَ ألاَّ يأكل من جثتي رغم جوعهِ ، واكتفى بالنومِ قُربَ قدمَيّ .

حـاولَ عـدةُ أشـخـاصٍ انتـشـالي ، إلاَّ أنَّ القنَّاصَ ناقَشَهُم ببندقيتهِ فغيَّروا رأيهم ، لقد كانَ قنَّاصاً شريفاً ، يعملُ بأمانة ، ولا يضيعُ وقتاً وأُناساً .

ذلك الثقبُ الصغير
المتبقي بعد مرورِ الرصاصة
أفرَغَ محتوياتي
لقد كانَ كلُّ شيءٍ يتسرَّبُ بهدوء
الذكرياتُ
أسماء الأصدقاءِ
فيتامين C
أغاني الأعراس
القاموسُ العربي
درجةُ حرارةِ ٣٧
حمضُ البول
قصائدُ أبي نواس
ودَمِي .

في اللحظةِ التي تبدأُ فيها الرُّوحُ بالهروبِ من البوابةِ الصغيرةِ التي فتحتها الرصاصة ، تصبحُ الأشياءُ أكثرَ وضوحاً ، النظريةُ النسبيةُ تتحولُ إلى أمرٍ بديهي ، معادلاتُ الرياضياتِ التي كانتْ مُبهمةً تغدو أمراً يسيراً ، أسماءُ زملاء الدراسةِ الذين نسينا أسماءَهم تعودُ إلى الذاكرة ، الحياةُ بكاملِ تفاصيلها تُضيءُ فجأةً ، غرفةُ الطفولة ، حليبُ الأمِّ ، الرعشةُ الأولى ، شوارعُ المخيم ، صورةُ ياسر عرفات ، رائحةُ القهوةِ مع الهيل في ثنايا المنزل ، صوتُ أذان الصبح ، مارادونا في المكسيكِ عام ١٩٨٦ ، وأنتِ .

تماماً ، كما لو أنَّكَ تأكلُ أصابعَ حبيبتكَ ، تماماً كما لو أنَّكَ ترضعُ سلكَ الكهرباء ، كما لو أنَّكَ تأخذُ لُقاحاً ضدَّ الشظايا ، كما لو أنّكَ لِصٌّ ذكرياتٍ ، تعال لِنُمسك عن الشِّعر ، ونستبدل أغنياتِ الصيفِ بِشَاشٍ طبيٍّ ، وقصائدَ الحصادِ بخيطانِ العمليَّاتِ الجراحية ، اتركْ مطبخكَ وغرفة الأطفال واتبعني لنشربَ الشاي خلفَ أكياسِ الرمل ، إنَّ المجزرةَ تتَّسعُ للجميع ، ضعْ أحلامكَ في السقيفةِ واسْقِ نباتاتِ الشُّرفةِ جيداً ، فقد يَطُولُ النقاشُ مع الحديد ، اتركْ خلفكَ جلال الدين الرومي وابن رشد وهيغل ، واجلبْ معكَ ميكافيللي وهنتنجتون وفوكوياما ، فنحن نحتاجهم الآن ، اتركْ ضحكاتك وقميصكَ الأزرق وسريركَ الدافئ ، وهاتِ أظافركَ وأنيابكَ وسكينَ الصَّيدِ وتعال .

ارمِ عصرَ النَّهضةِ واجلبْ محاكمَ التفتيش
ارمِ حضارةَ أوروبا واجلبْ ليلةَ الكريستال
ارمِ الاشتراكيةَ واجلبْ جوزيف ستالين
ارمِ قصائدَ رامبو واجلبْ تجارةَ الرقيق
ارمِ ميشيل فوكو واجلبْ فايروس الإيدز
ارمِ فلسفةَ هايدغر واجلبْ نقاءَ العرق الآري
ارمِ شمسَ هيمنجواي التي لا تزالُ تُشرقُ واجلبْ رصاصةً في الرأس
ارمِ ليلةَ فان غوخ المضيئةَ بالنجومِ واجلبْ أذنه المقطوعة
ارمِ غورنيكا بيكاسو واجلبْ غورنيكا الحقيقيةَ برائحةِ دَمِها الطازج
نحنُ نحتاجُ هذه الأشياء الآن ، نحتاجُها كي نبدأَ الاحتفال .

زر قميصكِ

هي ليستِ المرَّة الأولى التي ينتابُني فيها زِرُّ قميصكِ ، فلقد راوَدَني قَبْلُ حين كنتُ على فراشِ الحيـاة ، وكـذلـك حينَ وقفتُ على أوتوستـرادِ الحريرِ أسقي الحجاجَ خمراً عن روحِ قصيدتي ، وأسألُ الله أنْ يغفرَ للشعراءِ قصائدهم وينتقمَ لي من دونيةِ المَجَاز ، نعم ، ليستِ المرَّة الأولى التي ينشَقُّ فيها زِرٌّ عنكِ كي يلتحقَ بالبكاء ، ولكنَّها المرةُ الأولى مُذْ رحلتِ أصطدمُ بزرٍّ قـمـيـصكِ وجـهـاً لوجـه ، رجـلاً لزر ، شـاعـراً لأطـــلال .

كنتُ أهمُّ بتنظيفِ غرفتي ، أعني كنتُ أهمُّ بتنظيفها تنظيفاً كاذباً كما كنتِ تقولين ، أي أنْ أُعيدَ ترتيبَ الفوضى وتشكيلها بما يتناسبُ مع وضعي كشاعرٍ مهجورٍ حينَ اصطدمَ نيزكٌ بحافةِ قصيدتي فتدفَّقَ الماءُ . . .

رجلاً لزرٍّ ، دونَ مقدمات ٍأو إعداد ٍمُسْبَق أو تخطيط ، رجلاً ممزقاً أمام زرٍّ قميصكِ الذي سَقَطَ في ليلة ٍلا يزالُ طعمُهَا عالقاً في سريري . . .

قفا نَبْكِ من ذكرى حبيب ٍومنزلِ ،

وزرٍّ هوى قربَ الجدارِ بمنزلي .

ألوان

النبيذُ الأبيضُ ، أصفر

النبيذُ الأحمرُ ، خمريّ

السوقُ السوداءُ ، ملونة

الذهبُ الأسودُ ، لَزِج

الذهبُ الأبيضُ ، ملح

تاريخُ الرجلِ الأبيضَ ، أسود

أنتِ ، شفَّافَة .

كيف أصبحتُ...

سقطَ حُزنُها من الشرفةِ وانكسر ، أصبحتْ تحتاجُ إلى حزنٍ جديد ، حين رافقتُها إلى السوق ، كانتْ أسعارُ الأحزان خياليةً فنصحتُهَا أنْ تشتريَ حُزناً مستعملاً ، وجدنا حزناً في حالةٍ جيدة ، غيرَ أنَّهُ واسعٌ قليلاً ، كانَ كما أخبرَنَا البائعُ لشاعرٍ شابٍ انتحرَ في الصيفِ الماضي ، أعجبَها الحزنُ وقرَّرنا أخذه ، اختلفنا مع البائعِ على السعرِ ، فقال إنَّه سيعطينا قلقاً يعودُ إلى الستينياتِ كهديةٍ مجانيةٍ إن اشترينا الحزن ، وافقنا وكنتُ فرحاً بهذا القلقِ الذي لم يكنْ في الحسبان ، أحسَّتْ بفرحتي فقالت هو لك ، أخذتُ القلقَ في حقيبتي ومضينا ، مساءً تذكرتُ القلق ، أخرجتُهُ من الحقيبةِ وقلَّبتُهُ ، لقد كانَ بجودةٍ عاليةٍ وبحالةٍ جيدةٍ رغم نصفِ قرنٍ من الاستعمال ، لا بدَّ أنَّ البائعَ يجهلُ قيمتَهُ وإلاَّ ما كان

ليعطيناهُ مقابلَ شراء حزنٍ رديءٍ لشاعرٍ شاب ، أكثرُ ما أفرحني به هو أنَّهُ قلقٌ وجودي ، مشغولٌ بحرفيةٍ عاليةٍ وفيه تفاصيلُ غايةٌ في الدقةِ والجمال ، لا بدَّ أنَّهُ يعودُ لمثقفٍ موسوعي أو سجينٍ سابق ، بدأتُ باستعمالهِ فأصبحَ الأرقُ رفيقَ أيَّامي ، وصِرتُ من مؤيدي مباحثاتِ السلام ، توقفتُ عن زيارةِ الأقاربِ وازدادتْ كتبُ المذكراتِ في مكتبتي ولم أعدْ أُبدي رأياً إلا ما ندر ، صارَ الإنسانُ عندي أغلى من الوطنِ وبدأتُ أشعرُ بمللٍ عام ، أمَّا أكثر ما لفتَ انتباهي هو أنني أصبحتُ شاعراً .

تبخر

لقد رأيتُهَا بأمِّ عيني هذه المرة . . .

دخلتْ من البـاب بطريقـةٍ شـرعـيـة ، مَـشَـتْ على أطرافِ أصابعها كي لا توقظني ، تأمَّلَتْ وجهَهَا في المرآة ، ثم شربتْ مثل كلِّ مرةٍ بقايا القهوةِ في الفناجين التي على الطاولة .

كنتُ أعتقدُ مثل أكثرِ الناسِ أنَّ حرارةَ تموز وقوانينَ الفيزياءِ والتبخرِ هي التي تجفِّفُ بقايا فناجين القهوة .

كم كنتُ ساذجاً . . .

في ظهيرةِ ذلكِ اليوم ، تظاهرُت بالنوم ، رأيتُهَا ، تماماً كما

قلتُ لكم سـابقـاً ، على أطرافِ أصـابعـهـا ، تقفُ بجـانبي قليلاً ، تتأكَّدُ أنَّني ميتٌ ، ثم نحو المرآةِ ، تتأكَّدُ أنَّها حيَّة ، تستلُّ سيجارةً من عُلبتي ، تُشعِلُها ثم تشربُ بقايا فناجين القهـــــوة .

قبل يومين ، أيقظتني صديقتي ، كانتْ قد عادتْ من برلين .

ـ غيـاث ، يجب أنْ نتحدث ، هنالِكَ أثارُ أحمر شفـاهٍ على الفناجـــــين . . .

وهجرتني .

يحبونك

يقتلونَ الغابة
يرتكبونَ المجزرةَ في وَضَحِ النهار
مُسلحين بالفؤوس . . .

المزارعون .

يشقُّونَ اللحمَ الآدمي
ويستنشقونَ بُخارَ الماءِ المالح
حين ينتفضُ الدَمُ الساخن . . .

الجراحون .

يتقلدونَ الأوسمة . . .

الجنود .

ينامونَ وحيدين
ويأكلونَ وحيدين
ويمارسونَ الجنسَ وحيدين . . .

المشاهير .

يكذبون . . .

الشعراء .

يفعلنَ كلَّ شيء
يرتبنَ كلَّ شيء
يعملنَ بكلِّ شيء
ينفخنَ الحياةَ في كلِّ شيء
يصبرنَ على كلِّ شيء . . .

النساء .

يحصدونَ كلَّ شيء . . .

الرجال .

يُحِبُّونَكِ . . .

أنا .

نساء

النساءُ اللواتي عصرنَ العنبَ بأقدامهنَّ منذ بدءِ التاريخ .

النساءُ اللواتي تمَّ قَفْلُهُنَّ بحزامِ العفَّةِ في أوروبا .

الساحراتُ اللواتي أُحرِقنَ في العصورِ الوسطى .

روائياتُ القرنِ التاسع عشر اللواتي كَتَبْنَ بأسماءَ
ذكوريةٍ لكي يستطعنَ النَّشر .

حاصداتُ الشاي في سيلان .

نساءُ برلينَ اللواتي أَعَدْنَ إعمارَهَا بعد الحرب .

فلاحاتُ القطنِ في مصر .

الجزائرياتُ اللواتي يَضَعْنَ البرازَ على أجسادهنَ
لكيلا يُغتصبنَ من قبلِ الجنودِ الفرنسيين .

عذراواتُ السيجار في كوبا .

عصابةُ الماساتِ السوداواتِ في ليبيريا .

راقصاتُ السامبا في البرازيل .

اللواتي فَقَدْنَ وجوهَهُنَّ بالأسيدِ في أفغانستان .

أُمي .

أنا آسف .

لا أستطيعُ الحضور

في الشـمـالِ ، بالقربِ من سياجِ الله ، مستـمتـعـاً بالتطورِ الحضـاري وسـحـرِ التكنولوجـيـا ، وبآخـرِ مـا توصلتْ إليـهِ البشريةُ من أساليبِ التمدن ، وتحتَ التأثيرِ المخدرِ الذي يمنحهُ الأمانُ والتـأمينُ الصحيُّ والضـمـانُ الاجـتـمـاعي وحـريةُ التـعـبـير ، أتمدَّدُ تحتَ شـمس الصيـفِ كـأنَّني رجلٌ أبيض ، وأفكرُ بالجنوب ، مخـتلقاً أعـذاراً تبررُ غـيـابي ، يمرُّ بجـانبي مـهـاجـرونَ ورحـالةٌ ولاجـئـون ، يمرُّ سكانٌ أصليـونَ ومـزيفـونَ ومتهربونَ من الضرائب ، كحوليونَ وأغنياءُ جددٌ وعنصريون ، كلُّهم يعبرون أمامي وأنا جالسٌ في الشمالِ أفكرُ بالجنوب ، وأؤلفُ قصصاً مزيفةً كي أُغطي على غيابي ، وكيفَ أنَّني لا أستطيعُ الحضور .

نعم ، لا أستطيعُ الحضور ، فالطريقُ بين قصيدتي ودمشق مقطوعةٌ لأسباب ما بعد حداثية ، منها أنَّ أصدقائي يصعدون إلى الله بتسارعٍ مُطَّردٍ أعلى من سرعةِ مُعالجِ كمبيوتري ، وبعضُها يخصُّ امرأةً قابلتها في الشمالِ فأنستني حليبَ أمي ، وبعضها متعلقٌ بحوضِ السمكِ الذي لنْ يجدَ منْ يطعِمَهُ في غيابي .

لا أستطيعُ الحضور ، فالمسافةُ بين واقعي وذاكرتي تؤكِّدُ أنَّ أينشتاين على حقّ ، وأنَّ الطاقةَ المنبثقةَ من اشتياقي تساوي حاصلَ ضربِ الكتلةِ في مربَّعِ سرعةِ الضوء .

لا أستطيعُ الحضور ، لكنَّني قادرٌ على الغياب ، نعم ، أستطيعُ الغيابَ بمهارةٍ عالية ، وقد أصبحتُ محترفاً في الآونة الأخيرة ، وصارَ لي أجندةٌ أرتِّبُ فيها مواعيدَ غيابي ، وصارَ لي ذكرياتٌ لم تقعْ بعد .

أستطيعُ الغياب ، كما لو أنَّني لم أكنْ ، كما لو أنَّني عَدَم ، كما لو أنَّ الهواءَ لم يدخلْ رئتي من قبل ولم يكُ لي أعداء ، كما لو أنَّني فقدانُ ذاكرةٍ مُرَكَّز ، كما لو أنَّني غيبوبةٌ تنتقلُ بالعدوى .

لا أستطيعُ الحضور ، فأنا الآنَ مشغولٌ بالحربِ الباردة التي أخوضها يومياً مع العزلة ، بالقصفِ العشوائيِّ للعتْم ، بالاكتئابِ الممنهجِ وغاراتِ الوحدةِ التي تستهدفُ المطبخ ، بحواجزِ التفتيشِ التي تقفُ بيني وبين الصيف ، بالبيروقراطية بسببِ فَصْلِ السلطاتِ التشريعيةِ والتنفيذية ، بالروتينِ في دائرةِ الضريبة ، لقد حدَّثْتَنِي طويلاً عن الحرب ، دعني أحدِّثك قليلاً عن السلامِ الذي أنعمُ به هنا في الشمال ، دعني أحدِّثك عن تدرجاتِ لونِ البشرة ، عن معنى ألاَّ يعرفَ الناسُ أنْ يلفظوا اسمك ، عن الشَّعر الأسود ، عن الديمقراطيةِ التي تقفُ دائماً في صالحِ الأغنياء ، عن التأمين الصحِّي الذي لا يشمل الأسنان لأنَّها ليست جزءاً من الجسد ، دعني أحدِّثكَ عن الخضار التي لا طعمَ لها ، عن الورودِ التي لا رائحةَ لها ، عن العنصريةِ المغلفةِ بابتسامة ، دعني أخبركَ عن الوجباتِ السريعةِ والقطاراتِ السريعةِ والعلاقاتِ السريعة ، عن الإيقاعِ البطيءِ والحزنِ البطيءِ والموتِ البطيء .

هل ستُصدقني إنْ قُلتُ لكَ إنَّ حذائي متعبٌ ، وإنَّ في داخلي ذئباً لا أستطيعُ كبحَهُ بعد أن اشتمَّ رائحة الدم ، هل تصدقني إنْ رأيتَ على جسدي آثارَ الرصاصاتِ التي أصابتْ أصدقائي هناكَ بينما أنا جالسٌ هنا خلفَ شاشةِ الكمبيوتر ، أتؤمنُ بالمصادفة ، إنَّ غيابي مصادفةٌ مخططٌ لها بعنايةٍ بالغة ، خبط عشواء مدروسة ، ولقد اكتشفتُ مصادفةً أنْ ليس مصادفةً أنْ تحدثَ المصادفة ، إنما المصادفةُ ألاَّ تحدث . المهم ، هل ستصدقني إنْ حلفتُ لكَ بالموسيقى ، أقسمُ بالموسيقى أنَّ تصريحَ الإقامةِ في أوروبا قد يباعد ما بيننا وبين الموتِ بالرصاص ، لكنَّه يقاربُ ما بيننا وبين الانتحار .

حسناً ، سأخبركَ الحقيقة ، سأخبركَ لمَ لا أستطيعُ الحضور ، حدثَ ذلك في إحدى أمسياتِ الصيف ، حين صادفتُ في الطريق إلى البيت امرأةً حزينة ، كانتْ تحملُ في يدها غابة ، وفي حقيبتها زجاجةَ نبيذ ، قبَّلتُها فأصبحتْ حاملاً في الشهر الحادي عشر . . .

ليس هذا ما يمنعني من الحضور ، سأخبركَ الحقيقة ، لقد أمسكتني دمشقُ مع امرأةٍ أُخرى في الفراش ، حاولتُ أنْ أُصلحَ الموقف ، وأنَّ ما جرى نزوةَ ليس إلا ، وأنَّها لن تتكرر ، أقسمتُ بكلٍّ شيء ، بالقمر ، بالألعابِ النارية ، بأصابعِ النساء ، لكنَّ كلَّ شيءٍ كانَ قد انتهى ، فهربتُ إلى الشمال . . .

ليس هذا ما يمنعني من الحضور ، سأخبركَ الحقيقة ، حين كنتُ طفلاً ، لم أكنْ أعرفُ أي شيءٍ عن اقتصاد السوق ، الآن وبعدَ أنْ أصبحتُ مواطناً في إحدى دول العالمِ الأول فإنَّني لا أعرفُ أي شيءٍ عن اقتصادِ السوق . . .

ليس هذا ما يمنعني من الحضور ، سأخبركَ الحقيقة ، حينَ كنتُ أهمُّ بالمجيء ، اصطدمتْ حقيبتي بخبرٍ عاجلٍ فانكسرتْ لغتي إلى قطعٍ وتناهبها المارة ، ولم يعدْ لديَّ لغة . . .

ليس هذا ما يمنعني من الحضور، سأخبركَ الحقيقة، أنا ميِّت، نعم، لقد توفيتُ منذ عدةِ سنوات . . .

ليس هذا ما يمنعني من الحضور، سأخبركَ الحقيقة . . .

إبادة جماعية

حين قتلوكَ

ارتكبوا إبادةً جماعيةً لرجلٍ واحد .

حين وجدَ الناسُ قبركَ

وجدوا

مقبرةً

جماعيةً

لجثةٍ

واحدة .

المجزرة

المجزرةُ مجازٌ ميتٌ يأكلُ أصدقائي ، يأكلُهُم بلا ملحٍ ، كانوا شعراءَ ، وأصبحوا مراسلينَ مع حدود ، كانوا متعبينَ وأصبحوا متعبين جداً ، «يعبرونَ الجسرَ في الصبحِ خفافاً» ، ويموتون خارجَ التغطية ، إنَّني أراهم بالمناظير الليلية ، وأتتبعُ حرارةَ أجسادهم في الظلام ، ها هم يهربونَ منها إليها ، مستسلمين لهذا المسَّاج الهائل ، المجزرةُ أمُّهُم الحقيقية ، أمَّا الإبادةُ الجماعيةُ فهي مجردُ قصيدةٍ كلاسيكيةٍ يكتبها جنرالاتٌ مثقفون أُحيلوا إلى التقاعد ، الإبادةُ الجماعيةُ لا تليقُ بأصدقائي ، فهي عملٌ جماعيٌ منظم ، والأعمالُ الجماعيةُ المنظمةُ تذكِّرهم باليسارِ الذي خذلهم .

الجزرةُ تصحو باكراً ، تحمِّمُ أصدقائي بالماء البارِدِ والدم ، تغسلُ ملابسهم الداخلية وتعدُّ لهم الخبز والشاي ، ثم تعلمهم قليلاً من الصيد ، الجزرة أحنُّ على أصدقائي من الإعلان العالميِّ لحقوقِ الإنسان ، فتحتْ لهم البابَ حين غُلِّقتْ الأبواب ، ونادتهم بأسمائهم حين كانتْ نشراتُ الأخبارِ تبحثُ عن عدد الضحايا ، الجزرة هي الوحيدةُ التي منحتهم اللجوءَ بغضِّ النظرِ عن خلفياتهم ، لم يهمها وضعهم الاقتصادي ، لم يهمها إنْ كانوا مثقفينَ أو شعراء ، إنَّها تنظرُ إلى الأشياء من زاويةٍ محايدة ، لها ملامحهم الميتة نفسها ، وأسماءُ زوجاتهم الأرامل ، تمرُّ مثلهم على الأرياف والضواحي ، وتظهرُ فجأةً مثلهم في الأخبار العاجلة ، الجزرة تشبه أصدقائي ، لكنها دائماً تسبقهم إلى القرى النائيةِ ومدارسِ الأطفال .

المجزرة مجازٌ ميتٌ يخرجُ من التلفزيون ، ويأكلُ أصدقائي دون رشةِ ملحٍ واحدة .

كُتبت القصائد بين الأعوام ٢٠٠٨ و٢٠١٣

نُشرت قصائد (ما قبل ١٨ آذار ٢٠١١) في النهار اللبنانية والأيام الفلسطينية ، ونُشرت قصائد (ما بعد ١٨ آذار ٢٠١١) في القدس العربي والأيام الفلسطينية .

غياث المدهون

- شاعر فلسطيني من سوريا مقيم في السويد منذ ٢٠٠٨ .
- عضو اتحاد الكتاب السويديين وعضو نادي القلم السويدي وعضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ورابطة الكتاب السوريين التي أنشئت بعد الثورة .
- «قصائد سقطت سهواً» اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤ .
- «كلما اتسعت المدينة ضاقت غرفتي» دمشق عاصمة الثقافة العربية ، دمشق ، ٢٠٠٨ .
- «طلب لجوء» مختارات شعرية باللغة السويدية ، دار أيرساتز ، ستوكهولم ، ٢٠١٠ .
- حصلت المجموعة الشعرية «طلب لجوء» على جائزة «دي فيلدر» للكاتب الأجنبي من مؤسسة دي فيلدر واتحاد الكتاب السويديين ، ٢٠١٢ .
- «المدينة» ، قصيدة صدرت بكتيب باللغة السلوفينية والعربية ، ليوبليانا ٢٠١٢ .

- «طريق دمشق» مجموعة شعرية كتبت بالاشتراك مع الشاعرة السويدية «ماري سيلكيبيري» ، تضم «طريق دمشق» بالإضافة لقصائد «ماري سيلكيبيري» قصائد القسم الثاني من المجموعة الشعرية «لا أستطيع الحضور» (القصائد التي كتبت بعد ١٨ آذار ٢٠١١) ، دار آلبرت بونير ٢٠١٤ .
- عدة ترجمات إلى الألمانية والإيطالية والإنجليزية والسلوفينية والدانماركية واليونانية والهولندية والفرنسية والسويدية منشورة في المجلات الأدبية في تلك البلدان .
- أيلول ٢٠١٤ ، ستصدر المجموعة الشعرية «لا أستطيع الحضور» (القصائد التي كتبت بعد ١٨ آذار ٢٠١١) باللغة الهولندية عن دار يورجن ماس الهولندية ، أمستردام .

الفهرس



I CANNOT ATTEND

شعر

POEMS

لا أستطيع الحضور



لقد بعتُ أيامي البيضاءَ في السوقِ السوداءِ، واشتريتُ منزلًا يطلُّ على الحربِ، لقد كانت الإطلالةُ رائعةً لدرجةِ أنني لم أقاوم إغراءَها، فانحرفَتْ قصيدتي عن تعاليم الشيخِ، واتّهمني أصدقائي بالعُزلةِ. وضعتُ كحلًا على عيني فازدادَت عروبتي، وشربتُ حليبَ الناقةِ في الحُلُمِ فصحوتُ شاعرًا. كنتُ أراقبُ الحربَ كما يراقبُ المصابونَ بالجذامِ عيونَ الناسِ، ولقد توصّلتُ إلى حقائقَ مرعبةٍ عن الشعرِ والرجلِ الأبيضِ، عن موسمِ الهجرةِ إلى أوروبا، وعن المدنِ التي تستقبلُ السيّاحَ في أيامِ السلمِ والمجاهدينَ في أيامِ الحربِ، عن النساءِ اللواتي يُعانينَ الأمرّينِ في أيامِ السلمِ ويُصبحنَ وَقودًا للحربِ في أيامِ الحربِ.



المؤسسة العربية للدراسات والنشر